



فورات الاندفاع والحماس لا تغنى فتيلًا ولا تنفع عند مواجهة الحقائق، فالواقع غير الخيال، ومعاركة الأحداث غير مداعبة الأحلام، وبريق السيوف فوق الرؤوس ليس كبريق العواطف في النفوس، وليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وفر في القلب وصدقه الأفعال.

ولقد يظن الإنسان في نفسه لأول وهلة عند دفقة الحماس أنه قادر على فعل المعجزات، لكن عندما يرجع البصر، ويتعقب في الفكر ويصحو من سكرته يعرف نفسه على حقيقتها، فيعود إلى رشده بعد غفلته.

والداعاوی ما لم تقيموا عليها *** بینات أصحابها أدعياء

والنبي صلی الله علیه وسلم بنظرته الثاقبة، وخبرته بالنفس البشرية يعلمنا هذه المعانی الكبيرة خاصة في لحظات الحماسة. فقد روی مسلم في صحيحه أن رسول الله صلی الله علیه وسلم أخذ سيفاً يوم أحد فقال: من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم كل منهم يقول أنا أنا!!

قال: فمن يأخذ بحقه؟ فأحجم القوم!! فقال سماعك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذ بحقه، فأخذه فقلق به هام المشركين. أرأيت إلى النفس البشرية كيف تندفع في غمرة الحماس. رسول الله يأخذ سيفاً ويلوح به، والمعركة بين إيمان وكفر، وحق وباطل، والصحابة خرجوا ينصرون الله ورسوله، والسيف قد باركته يد رسول الله. من يأخذ مني هذا... ويا لها من فرصة ذهبية نادرة يحظى مغتنمها بهذا الشرف العظيم.

ويتدافع الصحابي الكريم ويبسطون أيديهم ليتناوشوا، وبريق السيوف يكاد يخطف أبصارهم، وتتزاحم الأكف، وتهتف الحناجر وكأنها حنجرة واحدة.

أنا أنا، أنا الذي أريد شرف الضرب بالسيف الذي باركته يد رسول الله، لأنني إذا ضربت به فكأنما يد رسول الله هي الضاربة لتوقع النكأة في أعداء الله، وينظر رسول الله - وهو القائد الفذ - إلى الجموع المتکاثرة، والحناجر الهائفة، والحماسة الفائرة، ثم ينظر إلى السيوف في يده المباركة، إنه سيف لا كالسيوف.

سيف له حق خاص، ووضع مميز. ويلقي كلمته الداوية. فمن يأخذ بحقه .. فيفترق الزحام، وتنزل الأكف، وتخدم اندفاعات البركان، وتغيب أنا أنا، إلا صوتاً واحداً، ويداً واحدة. صوت صاحب عصابة الموت سماعك بن خرشة أبي دجانة رضي الله عنه. أنا آخذ بحقه يا رسول الله.

ولا أجد ما أعبر به عن مقولته هذه، وأتركه يعبر عن نفسه لأن حق آخذ هذا السيف أن يضرب به حتى ينحني أو ينكسر، لأن حقه أن يشق رؤوس الكفر المحاربة لله ورسوله والمؤمنين، لأن حقه أن تفلق به هذه الرؤوس المشركة المعتدية فلفاً، لأن حقه الوفاء بما عَهَدَ به رسول الله.

أدعه يعبر عن نفسه أصدق تعبير وقد وفى بما عاهد، وأخذ السيف وهو يرتجز

أنا الذي عاهدني خليلي *** ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيول *** أضرب بسيف الله والرسول

والكيول: آخر الصفوف في الحرب وما أحسن ما قاله الإمام البنا في مثل هذه المقامات الفائرة غير محسوبة النتائج: أجمعوا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أصوات الخيال الزاهية البراقة.

المصادر: